بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فيقول الله - تبارك وتعالى - في هذه السورة الكريمة سورة البقرة: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (84) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ (86) .

المعنى الإجمالي: ثمَّ ذكَّرهم الله أيضًا بعهدٍ آخَر قد أخَذَه عليهم من قبل، وهوأن لا يَقتُلَ بعضُهم بعضًا، ولا يخرج بعضُهم بعضًا من ديارهم بغير حقٍّ، وأنَّهم أقرُّوا بمعرفة هذا العهدِ وصحَّتِه، ولم يغبْ عنهم ولم يُنكروه، لكنَّهم نقضوه وفعَلوا ما نُهوا عنه، فقَتَل بعضُهم بعضًا، وأخرَج بعضُهم بعضًا من دِيارهم، وتعاونوا على أهل مِلَّتهم بالمعصية وتجاوُز حدود الله عزَّ وجلَّ. الدرر السنية

(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ) أي: واذكروا حين أخَذْنا عليكم وعلى آبائكم من قبل، ألَّا يقتل بعضُكم بعضًا، ولا يُخرِج بعضُكم بعضًا من دِيارهم بغير حقٍّ. الدرر السنية

(لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ) أي: لا يقتل بعضكم بعضاً، لأن أهل الملة الواحدة كالنفس الواحدة

قال القرطبي: فإن قيل: وهل يَسفِك أحد دمه ويُخرج نفسه من داره؟ قيل له: لما كانت ملّتهم واحدة وأمرهم واحد وكانوا في الأمم كالشخص الواحد جعل قتل بعضهم بعضاً وإخراج بعضهم بعضاً قتلاً لأنفسهم ونَفياً لها.

(وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) أي: ولا يعتدي بعضكم على بعض بالإخراج من الديار، والإجلاء عن الأوطان.

قال الماوردي: قوله (لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) أما النفس فمأخوذة من النفاسة، وهي الجلالة، فنفس الإنسان أنفس ما فيه، وأما الديار فالمنزل الذي فيه أبنية المقام، بخلاف منزل الارتحال.

قال الشيخ سعيد مصطفى: في التعبير بقول الله تعالى: {دِمَاءَكُمْ} ، وَ{أَنْفُسَكُمْ} ، - وإن كان المراد بذلك لا يسفك بعضكم دماء بعض، ولا يخرج بعضكم بعضًا - دلالة على أن ظلمك لأخيك هو ظلمٌ لنفسك، وإساءتك له إساءةٌ لنفسك، لأن الْمُؤْمِنِينَ كالْجَسَدِ الواحدِ يتألمُ كل عُضْوٍ لألم غيرِهِ من الأعْضَاءِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى).

فاستشعر أن الظلمَ الواقعَ على مسلمٍ في أقصى الأرضِ هو ظلمٌ لك أنت، وأن دماءَ المسلمين التي تسيلُ في مشارقِ الأرضِ ومغاربها تنزف من عروقك أنت.

فهل يليق بك أن تظلمه وأنت تسمعُ نبضَهُ من قلبك، وتجري دماءُهُ في عروقك؟

وهل يليق بك أن تهدمَهُ وأنت وهو بنيانٌ واحدٌ؟

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) صحيح بخاري

فهذا يُؤخذ منه أن نفوس أهل الإيمان كالنفس الواحدة، فينبغي أن يحب لإخوانه ما يحبه لنفسه؛ ولذلك فإن النبي ﷺ مثّل حال الأمة في ترابطها وتعاطفها وتراحمها بمنزلة الجسد الواحد، لو أنه جرح أصبعه، فإن ذلك يتسبب عن ألم في جميع جسده، لو آلمه ضرسه فإن ذلك يؤدي إلى صداع الرأس، وما إلى ذلك من أتعاب وآلام.

وهل يليق بنا أن نتباغض ونتشاحن ومحبتنا لبعضنا قربة نتقرب بها إلى الله؟

اللهم إنا نسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقربنا لحبك.

(ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ) أي: بعد أخْذ هذا الميثاق عليكم، بقيتُم عليه، وقد أقررتُم بمعرفته وصحَّته، وشهدتُم عليه، فهو لديكم باقٍ، لم يغبْ عنكم، ولم تُنكِروه. موسوعة التفسير

أي: ثم أقررتم بمعرفة هذا الميثاق وصحته وأنتم تشهدون به.

(ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ) يعني إخوانكم .سليمان اللهميد

قال ابن كثير : ينكر الله تعالى على اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن الأوس والخزرج وهم الأنصار ، كانوا في الجاهلية عباد أصنام ، وكانت بينهم حروب كثيرة ، وكانت يهود المدينة ثلاث قبائل : بنو قينقاع ، وبنو النضير حلفاء الخزرج ، وبنو قريظة حلفاء الأوس ، فكانت الحرب إذا نشبت بينهم ، قاتل كل فريق مع حلفائه ، فيقتل اليهودي أعداءه ، وقد يقتل اليهودي الآخر من الفريق الآخر ، وذلك حرام عليهم في دينهم ونص كتابهم ، ويخرجونهم من بيوتهم ، وينتهبون ما فيها من الأثاث والأمتعة والأموال ، ثم إذا وضعت الحرب أوزارها استفكّوا الأسرى من الفريق المغلوب عملاً بحكم التوراة ، ولهذا قال : أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) .

(وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ) أي : وطردتموهم من ديارهم من غير التفات إلى العهد الوثيق . سليمان اللهميد

(تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) أي : تتعاونون عليهم بالمعصية والظلم . سليمان اللهميد

(وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ) أي : وإذا وقعوا في الأسر فاديتموهم ، ودفعتم المال لتخليصهم من الأسر . سليمان اللهميد

(وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ) تشنيع وتبليد لهم إذ توهموا القُربة فيما هو من آثار المعصية أي كيف ترتكبون الجناية وتزعمون أنكم تتقربون بالفداء وإنما الفداء المشروع هو فداء الأسرى من أيدي الأعداء لا من أيديكم فهلا تركتم موجب الفداء ؟ (قاله ابن عاشور) .

(أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ) أي : أفتؤمنون ببعض أحكام التوراة ، وهذا يتبين مما قبله : وهو فداء الأسارى منهم . سليمان اللهميد

(وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) وهو إخراجهم من ديارهم وقتلهم ومظاهرة العدو عليهم . سليمان اللهميد

☜كانت الحروب تقع بين الأوس والخزرج، وتستمر عقودًا متطاولة، فكان الحلفاء من اليهود حلفاء هؤلاء وحلفاء هؤلاء يخوضون هذه الحروب معهم، وهذه الحروب يحصل فيها قتل، ويحصل فيها أسرى، فهؤلاء اليهود الذي مع كل طائفة من طوائف العرب من الأوس والخزرج كان يحصل على أيديهم القتل لإخوانهم اليهود من الفريق الآخر، ويحصل أيضًا الأسر، فيأسرونه في جملة ما يأسرون، فكانوا يتناقضون، فيعمدون إلى قتلهم.

وكذلك أيضًا يأسرونهم ويخرجونهم من ديارهم، ويتظاهرون عليهم بالإثم والعدوان في هذه الحروب الجاهلية، وإذا جاءوا في حال الأسر دفعوا الفداء في فكاكهم، فكانوا بذلك يؤمنون ببعض الكتاب، ويكفرون ببعض، فإذا جاءوهم أسارى فادوهم، ودفعوا الفداء في سبيل فكاكهم، فكان هذا من دينهم، ولكنهم في الجانب الآخر يقتلونهم، ويخرجونهم من ديارهم، وهذا محرم عليهم، فالله -تبارك وتعالى- نعى عليهم ذلك الفعل القبيح، وهذا التناقض المشين، حيث آمنوا ببعض أحكام التوراة، وكفروا ببعضها، فليس لمن فعل ذلك منهم إلا الخزي في الحياة الدنيا، وهو الذل والفضيحة والعار والشنار، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب، في النار، وما الله بغافل عما يعملونه من هذه الأفعال المتناقضة السيئة. خالد السبت

✉**قال في التسهيل** :(أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكتاب) فداؤهم الأسارى موافقة لما في كتبهم

(وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) القتل والإخراج من الديار مخالفة لما في كتبهم.

- وإن كان وقع منهم كفر بأشياء أخرى ككتم صفة محمد ε .
- والآية توبيخ لهم، لأنهم جمعوا بين الكفر والإيمان.

📃فإن الإيمان يقتضي الأخذ بشرائع الدين كاملة دون تذوق وانتقاء، فيأخذ ما يحلو له وما يوافق هواه، ويترك ما عدا ذلك، هذا خلاف مقتضى الإيمان، ولا يجوز بحال من الأحوال، والله تعالى قال في مثل هؤلاء :(أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) فالهمزة هنا للإنكار، أي: استفهام إنكاري، وانظر الوعيد الذي ذكره بعده (فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ) هذا الخزي معجل لهم في الحياة الدنيا، ثم بعد ذلك العقوبة في الآخرة بالرد إلى أشد العذاب، فدل ذلك على أن هذا من أعظم الجرائم والمنكرات أن يأخذ الإنسان من الدين ما يحلو له ويوافق هواه، ويترك الباقي، فهذا من أعظم الجنايات، والله توعد أصحاب هذا بخزي في الدنيا، وعذاب في الآخرة. خالد السبت

(فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ)أي : ما عقوبة من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض.

(إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) إلا ذل ومهانة وصغار .

📃فإذا كان هذا الوعيد قد توجه على بني إسرائيل في هذا الفعل المشين، فإن ذلك أيضًا يتوجه على هذه الأمة، فإنه لا يجوز للأمة، أو لأحد من أفرادها أن يؤمن ببعض الكتاب، ويكفر ببعض؛ لأن الحكم جاء عامًا (فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) [سورة البقرة:85] فهذا قد رُبط بعلته، فالذي يفعل ذلك متوعد بهذه العقوبة الخزي في الحياة الدنيا، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب.

📃ولذلك فإن مقتضى أخذ الكتاب بقوة أن يأخذه بكماله وشُموله، بجد واجتهاد، أما أن يبحث عما يوافق هواه، سواء كان ذلك ابتداءً، أو كان ذلك استفتاءً، يعني حينما يسأل أو يذهب أو

يتخير في المفتين، أو في الفتاوى، يبحث عما يوافق الهوى، فإن ذلك لا يُخلصه من التبعة، فلا يكون سالمًا بهذه الحال، فالواجب على الإنسان أن يسأل عما يحتاج إلى معرفته من الأحكام الشرعية، يسأل من يثق بدينه وعلمه، فإذا أفتاه فلا يجوز له أن يبحث بعد ذلك عن فتيا أخرى ترخص له بهذا الفعل الذي يهواه.

وكما قال الشاطبي -رحمه الله: بأنه إذا استوى عنده قولان أو بلغه قولان عن عالمين، فينظر إلى الأرجح عنده من جهة العلم والدين والورع، فيأخذ بقوله، فإن استويا فإنه ينظر إلى الهوى أين الهوى؟ فيخالف هواه؛ لأن هذه الشريعة قد رُكبت تركيبًا على خلاف داعية الهوى، وإنما وضعت هذه الشريعة لإخراج المكلف من داعية الهوى ليكون عبدًا لله.

فلا يجوز للإنسان أن يفعل ما يحلو له في المسائل المختلف فيها بحجة أن ذلك قد اختلف فيه الفقهاء.

أما أن يبحث الإنسان هنا وهناك، فإنه سيجد في فتاوى العلماء أشياء وأشياء، فيجتمع فيه الشر كله، سيجد من يفتي بنكاح المتعة من السلف، ومن يفتي بجواز أنواع من الربا، ومن يفتي بأنواع من المعازف، ومن يفتي بأن المرأة المخطوبة يجوز للخاطب أن ينظر منها إلى كل شيء سوى القُبل والدُبر، وكذلك سيجدون في كل مسألة يَهْوُونَهَا فتاوى، وأهل الكوفة كما هو معروف منذ القدم، منذ زمن التابعين كانوا يقولون بجواز شرب النبيذ، وما أشبه ذلك، فهذا إذا جمع هذه القضايا فإنه سينخلع من ربقة الدين، يأخذ بقول هذا، وبقول هذا، وبقول هذا، وهذه الأقوال المجتمعة ما قال بها عالم واحد، وإنما أخذ رقعة من هذا، وأخرى من ذاك، وأخرى من ذاك، فخرج بثوب لا يصلح أن يخرج به أمام الناس.

ثم هؤلاء يتبعون أهواءهم، بدليل: أنهم يلبسون إلى ما فوق الركبة، وهم يقولون: من الفقهاء من قال: إن عورة المرأة من السرة إلى الركبة أمام النساء، وهذا ليس بصحيح، ولا يجوز الاعتماد على مثل هذا، وعلى الإنسان أن يتقي الله -تبارك وتعالى- والنبي ﷺ قال قولاً عامًا :المرأة عورة) ولم يفصل بأن ذلك أمام النساء، أو أمام الرجال، فدلّ على أن المرأة أمام النساء عورة، وأمام الرجال عورة، وإنما تُبدي ما دل الدليل على إبدائه، أو على جواز إبدائه، وما الذي كانت تبديه أمهات المؤمنين ونساء الصحابة -رضي الله عنهن- أمام النساء؟! هل كُن يخرجن بهذه الثياب، وبهذه الألبسة التي تُبدي أجزاء كبيرة من الجسد؟ كلا وحاشا، والله المستعان.خالد السبت

(فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

الحياة الدنيا سميت بذلك: لأنه قبل الآخرة في الزمن، ولدناءتها وحقارتها بالنسبة للآخرة.

كما قال تعالى (فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ) وقال تعالى (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ)

وقال ε (لو كانتِ الدُّنيا تعدلُ عندَ اللهِ جناحَ بعوضةٍ ما سقى كافرًا منها شربةَ ماءٍ). رواه الترمذي

وقال ε (ومَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما عَلَيْهَا) رواه البخاري .

قال السعدي: وفيها أكبر دليل على أن الإيمان يقتضي فعل الأوامر واجتناب النواهي، وأن المأمورات من الإيمان، قال تعالى: (فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) وقد وقع ذلك فأخزاهم الله، وسلط رسوله عليهم، فقتل من قتل، وسبى من سبى منهم، وأجلى من أجلى.

(وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ) جزاء على مخالفتهم كتاب الله الذي بأيدهم .

ويوم القيامة سمي بذلك :

أولاً : لقيام الناس من قبورهم .

كما قال تعالى (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (6) المطففين.

ثانياً : لقيام الأشهاد .

كما قال تعالى (وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) (51)غافر .

ثالثاً : لقيام الروح والملائكة .

كما قال تعالى (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا (38) النبأ .

(وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) وعيد شديد لمن عصى أوامر الله، فإن الله لا يغفل عن شيء وذلك لكمال علمه سبحانه وتعالى. سليمان اللهميد

أن الله لا يغفل عن شيء لكمال علمه، وهذه قاعدة: كل صفة نفي: فإننا ننفيها ونثبت كمال ضدها، فالله لا ينام لكمال حياته، ولا يجهل لكمال علمه، ولا يظلم لكمال عدله.

فصفات الرب -تبارك وتعالى-منها ثبوتية، وهذا هو الغالب، فهذه الثبوتية مثل: العزة والحكمة والرحمة، والعلو والاستواء، كل هذا من الصفات الثبوتية، النوع الثاني: وهي الصفات السلبية، ومن هذه الصفات السلبية ما كان بصيغة النفي (لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ)سورة البقرة:255 هذا يدل على كمال حياته وقيوميته؛ لأن السنة وهي مقدمة النوم وخثورته هذه ضعف ونقص في الحياة، وكذلك النوم فهو نقص في الحياة، فهذا يدل على كمال حياته، وحينما ينفي عن نفسه الظلم، فإن ذلك لكمال عدله،(وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا) سورة البقرة:255 أي: لا يعجزه، أو لا يثقله، وهذا يدل على كمال قدرته وقوته، ونحو ذلك(وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) هذا لكمال إحاطته وعلمه، فبصره نافذ في خلقه، ولا يفوته شيء من أحوالهم، وما أشبه ذلك، فهذا كله يقتضي ثبوت كمال ضده. خالد السبت

(أُولَئِكَ) الموصوفون بما ذكر من الأوصاف القبيحة .

ثم أخبر تعالى عن السبب الذي أوجب لهم الكفر ببعض الكتاب، والإيمان ببعضه فقال:

(أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ) توهموا أنهم إن لم يعينوا حلفاءهم حصل لهم عار، فاختاروا النار على العار. السعدي

أي: استبدلوا الحياة الدنيا بالآخرة، أي: اختاروها وآثروها على الآخرة.

قال الشيخ سعيد مصطفى ذياب :مسكين هذا الذي يشتري جيفةً منتنةً ينفر الناس من رائحتها، بجوهرة ثمينة يتمنى الناس اقتناءها، مسكين لأنه لا عقل له ولا إدراك، ساءَ فِعْلُهُ وسَاءَ حَالُهُ، مغبونٌ لأنه لا يميز بين الغث والسمين، ولا يُفَرِّقُ بين الطيب والخبيث، ولا يعلم كم بين الحقير والثمين.

ومع ذلك فهذا الذي اشترى جيفةً منتنةً بجوهرةٍ ثمينةٍ أحسنُ حالًا ممن باع آخرته بدنياه، يا لله ما أعظمَ خسارته! وما أشدَ غبنه! وما أقبحَ فعله !

الدنيا دار ابتلاء، إذا حلت أوحلت، وإذا أينعت نعت، لا يدوم لها نعيم، ولا تبقى لها لذة، هي أشبه ما تكون بالسراب، ومثل الزهرة سرعان ما تذبل وتذهب نضارتها.

والآخرة للمؤمن نورٌ يتلألأ، ونعيمٌ لا ينفد، وقرة عينٍ لا تنقطع، لا يفارقها ولا تفارقه، له فيها ما تشتهي نفسهُ، وتتلذذ به عينه، وما لا يخطر له على بال، ولا يدور بالخيال.

ومع ذلك يتهافتُ كثيرٌ من الناسِ على بيعها، على بيعِ الجَنَّةِ... بتلك الجيفة القذرة.

يرتكبُ كلَ حرامٍ من أجلها، ويفعل كلَ قبحٍ في سبيلِ تحصيلها.

⇦أتراه يعقل؟ أتحسبه يدرك ما يفعل؟ أتظنه يسمع؟ أتعتقد أنه يبصر؟

⇦اسمع الجواب: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ}.

فلهذا قال: (فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ) بل هو باق على شدته، ولا يحصل لهم راحة بوقت من الأوقات،

(وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ) أي: ليس لهم ناصر ينقذهم مما هم فيه من العذاب الدائم السرمدي. السعدي

الواجب عدم الاكتراث بذمّ الناس ومدحهم؛ لأن ذلك لا يضر ولا ينفع، بل يجب أن يكون الخوف من ذم الله، والفرح بفضل الله. ابن القيم

(قامَ رجلٌ فقالَ: يا رسولَ اللَّهِ إنَّ حمدي زينٌ وإنَّ ذمّي شينٌ، فقالَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: ذاكَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ) صحيح الترمذي

الوعيد الشديد لمن أرضى الناس بسخط الله تعالى.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنِ الْتَمَسَ رِضَى اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ ، رَضِيَ الله عَنْهُ ، وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ ، سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَأَسْخَطَ عليه الناس)السلسلة الصحية

أم شريك العامرية الغطفانية رضي الله عنها هي صحابية

عن ابن عباس قال وقع في قلب ام شريك الإسلام فاسلمت وهي بمكة وكانت تحت أبي العكر الدوسي ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرا فتدعوهن وترغبهن في الإسلام حتى ظهر امرها لاهل مكة فاخذوها وقالوا لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا لكنا سنردك إليهم.

قالت فحملوني على بعير ليس تحتي شيء ثم تركوني ثلاثا لا يطعموني ولا يسقوني وكانوا إذا نزلوا منزلا أو ثقوني في الشمس واستظلوا هم منها وحبسوني عن الطعام والشراب فبينا هم قد نزلوا منزلا واوثقوني في الشمس إذا انا ببرد شيء على صدري فتناولته فاذا هو دلو من ماء أحلى من العسل و أبرد من الثلج فشربت منه

قليلا ثم رفع مني ثم عاد فتناولته فشربت منه ثم رفع ثم عاد فتناولته ثم رفع مرارا ثم تركت فشربت حتى رويت ثم افضت سائره على جسدي وثيابي فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء ورأوني حسنة الهيئة فقالوا لي انحللت فاخذت سقاءنا فشربت منه قلت لا والله لكنه كان من الأمر كذا وكذا قالوا لئن كنت صادقة لدينك خير من ديننا. فلما نظروا إلى اسقيتهم وجدوها كما تركوها فاسلموا عند ذلك واقبلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوهبت نفسها له بغير مهر فقبلها ودخل عليها.

لا يمكن أن يتحقق للإنسان مطلوبه من اللذات، أو العز الذي يرجوه، أو التمكين، أو نحو ذلك، وهو يؤمن ببعض الكتاب، ويكفر ببعض، فمن أراد الفلاح والنجاح والعزة في الدنيا والآخرة، فعليه أن يأخذ بشرع الله كما جاء من غير تفريق؛ ولذلك تجدون في آخر هذه السورة الكريمة (لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ [سورة البقرة:285] وقبله :(آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ)[سورة البقرة:285] إلى آخر ما قال، من غير تفريق بين الرسل، وكذلك أيضًا بما جاء به الرسول ﷺ.خالد السبت

(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ) البقرة87

(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) أي: ولقد أعطينا موسى بن عمران الكتاب وهو التوراة

وموسى هو ابن عمران أفضل أنبياء بني إسرائيل، وأحد أولي العزم من الرسل الخمسة.

وهم: النبي نوح عليه السلام، النبي إبراهيم خليل الله، النبي موسى كليم الله، النبي عيسى عليه السلام، وسيدنا محمد عليه أفضل الصلاة.

بعث الله نبيه موسى عليه السلام إلى فرعون وقومه ليدعوهم إلى توحيد الله سبحانه

أيّد الله سبحانه نبيه موسى عليه السلام بآيات شاهدات بوحدانية الله شرعية التوراة، والكونية.

ومن هذه المعجزات الآيات الظاهرات البينات العصا واليد

المعجزة: وهي أَمْرخارِق للعادة يُخالِف قَوانين الطَّبيعة يُظْهره االله على يد نَبِيّ أو ولي ليؤيده ويظهر صدقه.

وفي عهد موسى عليه السلام اشتهر قومه بالسحر والشعوذه فمده الله بمعجزة الأفعى التي كانت السبب في إسلام السحرة.

قال تعالى (فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (107) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ) الاعرا ف (108)

قال تعالى :(وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ)الأعراف130 :133

(وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ) أي: وأتبعنا وأردفنا من بعده بالرسل كما قال تعالى (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا) حتى ختم أنبياء بني إسرائيل بعيسى ابن مريم.ابن كثير

قال ابن الجوزي: وقفَّينا: أتبعنا. قال ابن قتيبة: وهو مأخوذ من القفا. يقال: قفوت الرجل : إذا سرت في أثره .

قال الشوكاني: والمراد أن الله سبحانه أرسل على أثره رسلاً جعلهم تابعين له وهم أنبياء بني إسرائيل المبعوثون من بعده.

قال الرازي: السبب في أن الله تعالى أجمل ذكر الرسول ثم فصل ذكر عيسى لأن من قبله من الرسل جاءوا بشريعة موسى فكانوا متبعين له، وليس كذلك عيسى، لأن شرعه نسخ أكثر شرع موسى عليه السلام.

⇦عيسى وهو من أنبياء بني إسرائيل، وجاء مكملاً لشريعة موسى عليه السلام ولم يأتِ ناسخًا، وإنما جاء بنسخ بعض الأحكام الثقال، والآصار، والأغلال التي كانت على بني إسرائيل، ولكنهم كانوا متعبدين بالتوراة، والعمل بها، فكبير أنبياء بني إسرائيل هو موسى عليه السلام ولكن لشدة العداوة بين اليهود والنصارى ترك النصارى العمل بالتوراة التي فيها الشريعة، فصاروا بلا شريعة ولا قانون، فاخترعوا كتابًا من عند أنفسهم سموه بالأمانة الكبرى، ووضعوا فيه قوانين وضعية، يتحاكمون إليها. خالد السبت

(وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ) أي: وأعطينا من الآيات البينات والمعجزات الظاهرات الواضحات الدالة على نبوته.

اشتهر قوم عيسى عليه السلام بالبراعة في الطب ولذلك أعطى الله سبحانه وتعالى معجزة إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى لنبيه عيسى عليه السلام لجعلها آية لقومه.

ولم يبيّن هنا ما هذه البينات لكنه بينها في آية أخرى كقوله تعالى (وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (49) ال عمران

قوله تعالى (ابن مريم) قال ابن تيمية: ولهذا لما ذكر الله المسيح في القرآن قال (ابن مريم) بخلاف سائر الأنبياء وفي ذلك فائدتان:

❶ : بيان أنه مولود، والله لم يولد.

❷ و: نسبته إلى مريم، بأنه ابنها ليس هو ابن الله .

قال دكتور خالد السبت عيسى عليه السلام لا يكاد يذكر إلا منسوبًا لأمه: عيسى ابن مريم، فهذا يُؤخذ منه:

❶: التذكير بالمعجزة؛ لأن وجد من غيرأب، فهذه آية خارقة للعادة، خارجة عن المعهود: أن يوجد مولود من غير أب، بنفخ الملك، فهذا تذكير بالمعجزة، وتذكير متجدد.

❷: تشريف لأمه، حيث ذكرت في أشرف كتاب، في القرآن، وقد رماها اليهود بما هي منزهة عنه، فجاء ذكرها في القرآن تشريفًا لها، وهي المرأة الوحيدة التي ذكرت في القرآن، والباقي لا تذكر باسمها (اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ) سورة التحريم:11(امْرَأَةُ عِمْرَانَ) سورة آل عمران:35 وهكذا، فهذا تشريف لها، والجزاء من جنس العمل، واليهود رموها بأقبح الأوصاف، واتهموها بأبشع الفرى، فكان عاقبة ذلك أن نزهها الله، وبرأها وشرفها، فذكرها في أشرف كتاب.

(وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ) اختلف ما هو روح القدس هنا والصحيح أنه جبريل ورجحه ابن جرير وابن كثير والشنقيطي وابن جزي ويدل لهذا

قوله تعالى (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ)193الشعراء

وقوله تعالى (فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا) (17) مريم ⇦أي جبريل

قال رسول الله صلى عليه وسلم لحسان (اللهم أيد حسان بروح القدس كما نافح عن نبيك) رواه البخاري وفي رواية (أهجهم وجبريل معك).

وهنا أيد الله -تبارك وتعالى- عيسى بروح القدس (جبريل) ونزول الملَك بحد ذاته إلى النبي تأييد، وهذا ذُكر في جملة الحِكَم من نزول القرآن منجمًا على النبي ﷺ أنه في كل نزول يتجدد له تثبيت، يعني إذا كان الإنسان يلقى من يحصل الانشراح والثبات بلقياه من الناس من أهل الصلاح أو العلم، كما قال ابن القيم -رحمه الله- عن شيخه شيخ الإسلام، يقول: "تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحًا وقوة ويقينًا وطمأنينة. فكيف بمجيء الملك؟ فإن هذا يحصل به من قوة الفؤاد والثبات الذي يتجدد مع ما يتجدد من كيد الأعداء ومكرهم، فيتحقق بذلك الثبات؛ ولذلك فإن لقاء أهل الإيمان، وحضور مجالسهم التي تذكر بالله من شأنه أن يكون سببًا للتثبيت والتماسك في وقت كثرت فيه الفتن والشرور.خالد السبت

(وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ)الآيات الواضحة (وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ) وهو جبريل عليه السلام فهو روح يحصل بمجيئه، وبما أرسله الله به حياة الأرواح، فهو موكل بالوحي، والقُدُس يدل على معنى الطهر، أيد الله به عيسى فيُؤخذ من ذلك: أن من وظائف الملائكة التأييد للرسل، ولأهل الإيمان، كما قال الله تعالى في خبر بدر في سورة الأنفال :(إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) [سورة الأنفال:12] فالوحي إلى الملائكة -عليهم الصلاة والسلام- على نوعين:الأول: تبليغي، حينما يرسلهم الله بالرسالات إلى الأنبياء يبلغونهم الوحي، كما كان جبريل يأتي بالقرآن إلى النبي ﷺ ويأتي أيضًا بالوحي من غير القرآن، فالسنة وحي، وقد قال ﷺ :(إن روح القدس نفث في روعي) يعني: في قلبي (أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها، ألا فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب)فهذا النوع الأول من الوحي، وهو تبليغي.

الثاني: وهو الوحي التكليفي (فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا) (فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) [سورة الأنفال:12] فهذه تكاليف كلفهم الله تعالى بها.

قال الطبري: وإنما سمى الله تعالى جبريل (روحاً) وأضافه إلى القدس، لأنه كان بتكوين الله له روحاً من عنده من غير ولادة والد ولده فسماه بذلك (روحاً) وأضافه إلى (القدس) والقدس هو الطهر، كما سمى عيسى ابن مريم روحاً من أجل تكوينه له روحاً من عنده من غير ولادة والد له.

(أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ) أي: أفكلما جاءكم نبي يا بني إسرائيل بما لا يوافق أنفسكم ولا يلائمها.

فهذه اللفظة (كلما) تدل على التكرار، وقد سبقت بهمزة الإنكار، يعني أن ذلك كان يتكرر منهم، ويتكرر مع من؟ مع أنبيائهم ورسلهم.خالد السبت

في تفسير التحرير والتنويرقال ابن عاشور: و(تهوى) والمراد به ما تميل إليه أنفسهم من الانخلاع عن القيود الشرعية والانغماس في أنواع الملذات والتصميم على العقائد الضالة.

(اسْتَكْبَرْتُمْ) عن إجابته ، احتقاراً للرسل واستبعاداً للرسالة

قال عليه الصلاة والسلام: (الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ (رد الحق) وَغَمْطُ النَّاسِ) رواه مسلم

قال ابن عاشور والاستكبار: الاتصاف بالكبر وهو هنا الترفع عن اتباع الرسل وإعجاب المتكبرين بأنفسهم واعتقاد أنهم أعلى من أن يطيعوا الرسل ويكونوا أتباعاً لهم.

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ (لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ) مسلم

⇦ أمر الكبر خطير يصل إلى تكذيب الرسل وقتلهم.

(فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ) فكان ممن كذبوه عيسى ومحمد عليهما السلام.

(وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ): وقد جاء أن هؤلاء قتلوا في يوم واحد من أنبيائهم سبعين نبيئًا.خالد السبت

وكان من قتلوه يحيى وزكريا عليهما السلام.

قال تعالى (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا) 7مريم

مقتل أنبياء الله زكريا ويحيى:

كبر يحيى عليه السلام، وكان ورعاً زاهداً مع كونه عالماً تقياً، حتى قيل إنه كان يأكل أوراق الأشجار كي لا يخالط الناس أو يكون بحاجة إليهم، وكان الناس يستفتونه في أمورهم، ويسمعون منه أحكام الله تعالى، حتى مع وجود أبيه زكريا عليه السلام، فمن ذلك أن الملك في ذلك الزمان عشق ابنة أخيه، وأراد أن يتزوجها، بالرغم من أنه من محارمها، فاستفتى يحيى عليه السلام في أمره، وطلب منه أن يرخص له بهذا الزواج السفاح، وقد كان ذلك الملك معروفاً بكونه طاغية جباراً فاسقاً، وكانت بنت أخيه تعشقه أيضاً، وكانت ذات أخلاق فاسدة، فأرادت أن تتزوجه، وأخذ الملك يتودد بالكلام ليحيى عليه السلام حتى يرخص له في ما يريد، فما كان منه عليه السلام إلا أن جمع الناس، وبين لهم أن زواج الرجل بمحارمه من أشد الفجور، وهو ما أثار غضب الملك الذي توقع أن يحيى عليه السلام جمع الناس ليخبرهم صحة زواجه بابنة أخيه، ووقع في حرج شديد، إذ لو تزوج بها بعد هذه المقولة، سيثور عليه الناس، وسيصبح ذكره على كل لسان

كما أن ذلك الملك أراد أن يفعل الفاحشة مع ابنة أخيه الفاجرة التي كانت ترقص له وتغني وتحاول إغراءه، لكنها رفضت تمكينه من نفسها إلا بعد أن يتزوجها، فذكر لها ما كان من أمره مع يحيى عليه السلام، وأنه رفض أن يقره على هذه الزيجة، بل جمع الملأ وفضح أمره لكي يقيم عليه الحجة، فقالت تلك المرأة الفاجرة «إذاً فتزوجني، ولا أرضى بمهر غير رأس يحيى عليه السلام»، وأعمت بهذا الطلب بصيرة الملك الذي أمر بقتل يحيى عليه السلام، وأرسل إليه من يحضر رأسه، وهو ما كان حيث ذهبوا إليه عليه السلام، ووجدوه يتعبد في مصلاه، فقتلوه وقطعوا رأسه وأتوا به ليكون مهر تلك الزانية

قتل زكريا عليه السلام بعد هذه الجريمة النكراء التي فعلها ذلك الحاكم الفاسد في نبي الله تعالى، خاف من أن يثور زكريا عليه السلام من هذا الفعل، وينتقم لموت ابنه نبي الله يحيى، فما كان منه إلا أن أمر بقتله عليه السلام، مخافة أن يفتن الناس ويقيمهم عليه، فقيل إن زكريا عليه السلام هرب منهم، فأخذوا يقتفون أثره ويحاولون الظفر به، إلى أن نادته شجرة في إحدى الغابات، وطلبت إليه الاختباء في جذعها، فأتاها ودخل، إلا أن طرف ثوبه بقي ظاهراً في الخارج، وجذب أعين المقتفين الذين أتوا بمنشار، وشقوا الشجرة نصفين حتى قتلوه عليه السلام.

قال ابن كثير: كانت بنو إسرائيل تعامل الأنبياء عليهم السلام أسوأ المعاملة، ففريقاً يكذبونه، وفريقاً يقتلونه، وما ذاك إلا لأنهم كانوا يأتونهم بالأمور المخالفة لأهوائهم وآرائهم وبإلزامهم بأحكام التوراة التي قد تصرفوا في مخالفتها، فلهذا كان يشق ذلك عليهم، فيكذبونهم، وربما قتلوا بعضهم.

قال الزمخشري: في قوله (فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ) ولم يقل: وفريقاً قتلتم، لأنه أراد بذلك وصفهم في المستقبل أيضاً، لأنهم حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم بالسم والسحر، وقد قال صلى الله عليه وسلم في مرض موته: ما زالت أكلة خيبر تعاودني، فهذا أوان انقطاع أبهري.

وضعت له تلك اليهودية في الذراع السم، فنهس منه ﷺ نهسةً، ثم بعد ذلك أخبرته تلك الشاة أنها مسمومة، فتركه ﷺ إلى أن بقي ذلك الأثر يعاوده إلى يوم وفاته ﷺ يقول :(يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم) بخاري والمقصود به العرق الواصل الكبير إلى القلب، يقول: هذا المنتهى الآن من آثر تلك الأكلة؛ ولذلك قال الحافظ ابن القيم وجماعة: بأن النبي ﷺ قد نال الشهادة، يعني كانت له شهادة بموته ﷺ حيث مات شهيدًا؛ وذلك بسبب تلك الأكلة التي أكلها. خالد السبت

ثم أيضًا نجد أن التعبير بالفعل المضارع تَقْتُلُونَ يصور هذا الجرم البشع كأنك تشاهده، كأن عملية القتل ماثلة أمامك، تتجدد وتتكرر، استمر عدوانهم ذلك إلى أن جاء رسول الله -عليه الصلاة والسلام - فحاولوا قتله، وقد حاولوا أيضًا قبل خيبر حينما أرادوا إلقاء رحى على رأسه ﷺ من فوق حُجرة، كان يجلس تحتها في القصة المعروفة فهؤلاء هم قتلة الأنبياء، تكذيب واستكبار وقتل لأشرف الخلق ولأنبيائهم، فما الظن بهم؟

فالأنبياء كانوا فيهم، أكثر أمة فيها أنبياء هم بنو إسرائيل، ومع ذلك لا يُعرف في الأمم تمرد وعتو كالتمرد والعتو الذي كان في بني إسرائيل، ولذلك قال بعض أهل العلم بتعليل تكرار قصص بني إسرائيل في القرآن، قالوا: بأن هؤلاء في كل باب لهم تاريخ وسجل أسود، فإذا بسط هذا لهذه الأمة، فإن ذلك يكون دروسًا في سائر الجوانب والأبواب يعزيهم ويسليهم ويصبرهم؛ لأنه لا نبي بعد النبي ﷺ فبسط لهم خبر هؤلاء الذين هم أقرب الأمم، فهذه الأمة جاءت بعد بني إسرائيل، والله المستعان.

قال الرازي: في قوله (أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ استكبرتم فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ)

فهو نهاية الذم لهم، لأن اليهود من بني إسرائيل كانوا إذا أتاهم الرسول بخلاف ما يهوون كذبوه، وإن تهيأ لهم قتله قتلوه، وإنما كانوا كذلك لإرادتهم الرفعة في الدنيا وطلبهم لذاتها والترؤس على عامتهم وأخذ أموالهم بغير حق، وكانت الرسل تبطل عليهم ذلك فيكذبونهم لأجل ذلك ويوهمون عوامهم كونهم كاذبين ويحتجون في ذلك بالتحريف وسوء التأويل، ومنهم من كان يستكبر على الأنبياء استكبار إبليس على آدم.

وهكذا كل من ترك الحق الذي جاءه والذي هو بصدده ابتلي بالاشتغال بضده، تركوا الوحي المنزل، وأحكام الله - تبارك وتعالى- التي في التوراة، ثم بعد ذلك صاروا إلى زبالات الأذهان، يتحاكمون إليها، كما قال الله تعالى عن اليهود حينما تركوا كتابهم :(وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ ۝ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ [سورة البقرة:101، 102] فهكذا كل من ترك الحق، فإنه يعاقب ويبتلى بالاشتغال بضده، ومن لم ينفق ماله في مرضاة الله وطاعته، أنفقه في مساخطه، ومن لم يشتغل بسماع القرآن وتلاوته، اشتغل بما يورث الغفلة من الغناء والطرب والمعازف، وما أشبه ذلك.خالد السبت

قال الشنقيطي : قوله تعالى (أفكُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ) وقد جاء في آيات أخر ما يدل على أن الرسل غالبون منصورون كقوله (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي) ، وكقوله (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) ، وقوله تعالى (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ)

⇦وبيّن تعالى أن هذا النصر في دار الدنيا أيضا كما في هذه الآية الأخيرة وكما في قوله (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) الآية

⇦**والذي يظهر في الجواب عن هذا أن الرسل قسمان**: قسم أمروا بالقتال في سبيل الله، وقسم أمروا بالصبر والكف عن الناس، فالذين أمروا بالقتال وعدهم الله بالنصر والغلبة في الآيات المذكورة، والذين أمروا بالكف والصبر هم الذين قتلوا ليزيد الله رفع درجاتهم العلية بقتلهم مظلومين، وهذا الجمع مفهوم من الآيات لأن النصر والغلبة فيه الدلالة بالالتزام على جهاد ومقاتلة.

وقفة وتأمل وتدبر لكلام الله وتحذيره سبحانه لعباده من الهوى:

قال تعالى (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث) الاعراف آية 176

التفسير الميسر: ولو شئنا أن نرفع قدره بما آتيناه من الآيات لفعلنا، ولكنه رَكَنَ إلى الدنيا واتبع هواه، وآثر لَذَّاته وشهواته على الآخرة، وامتنع عن طاعة الله وخالف أمره. فَمَثَلُ هذا الرجل مثل الكلب، إن تطرده أو تتركه يُخْرج لسانه في الحالين لاهثًا، فكذلك الذي انسلخ من آيات الله يظل على كفره إن اجتهدْتَ في دعوتك له أو أهملته.

قال تعالى (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً)سورة الجاثيه آية 23

التفسيرالميسر: أفرأيت -أيها الرسول-من اتخذ هواه إلهًا له، فلا يهوى شيئًا إلا فَعَله، وأضلَّه الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه، فلا يسمع مواعظ الله، ولا يعتبر بها، وطبع على قلبه، فلا يعقل به شيئًا، وجعل على بصره غطاء، فلا يبصر به حجج الله؟ فمن يوفقه لإصابة الحق والرشد بعد إضلال الله إياه؟ أفلا تذكرون -أيها الناس-فتعلموا أنَّ مَن فَعَل الله به ذلك فلن يهتدي أبدًا، ولن يجد لنفسه وليًا مرشدًا؟ والآية أصل في التحذير من أن يكون الهوى هو الباعث للمؤمنين على أعمالهم.

بعض النقاط التي نستفيد منها:

1. اتباع الهوى والشهوات والملذات فيه ضلال وهلاك وقد ضرب الله مثله كالكلب.
2. التحذير من الناس الذين يتبعون الهوى فلا أسف عليهم فإنما هم من ظلموا انفسهم ولهم عذاب شديد لعدم طاعتهم للرسول.
3. اتباع الهوى يعمي الافئده والسمع والابصار.

وخلاصة الامر والعبرة: فلنحذر جميعاً من أن يكون الهوى هو الباعث لنا على أعمالنا.

(وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ) 88

(وَقَالُوا) أي : اليهود ، إذا دعوا إلى الحق.

(قُلُوبُنَا غُلْفٌ) أي : في أكنّة لا تفقه

⇦يعني: مغطاة، عليها أغلفة، لا ينفُذ إليها شيء، ولا يصل إليها قولك ودعوتك.

نظائره في القرآن كقولهم (وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ)

قال الزجاج: من قرأ (غلف) بتسكين اللام ، فمعناه : ذوات غلف ، فكأنهم قالوا : قلوبنا في أوعية ومن قرأ (غُلُف) بضم اللام، فهو جمع (غلاف) فكأنهم قالوا: قلوبنا أوعية للعلم، فما بالها لا تفهم وهي أوعية للعلم؟!

فعلى الأول؛ يقصدون إعراضه عنهم ، كأنهم يقولون ما نفهم شيئاً .

وعلى الثاني يقولون : لو كان قولك حقاً لقبلته قلوبنا.

(بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بكفرهم) هذا رد من الله عليهم ، أي : ليس الأمر كما ادعوا بل قلوبهم ملعونة .

بل لعنهم الله (بِـ) بسبب (كُفْرِهِمْ) بالله تعالى ، وران على قلوبهم ما كانوا يكسبون.

(بل) فهذا الإضراب للإبطال، أي: ليست القلوب كما يقولون مجبولة ومفطورة على رد الحق. خالد السبت

قال ابن عاشور: فاللعنة حصلت لهم عقاباً على التصميم على الكفر وعلى الإعراض عن الحق.

قال ابن القيم:وجه الإضراب أنهم احتجوا بأن الله لم يفتح لهم الطريق إلى فهم ما جاء به الرسول ومعرفته، بل جعل قلوبهم داخلة في غلف فلا تفقهه، فكيف تقوم به عليهم الحجة؟ وكأنهم ادعوا أن قلوبهم خلقت في غلف فهم معذورون في عدم الإيمان فأكذبهم الله (وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً) فأخبر سبحانه أن الطبع والإبعاد عن توفيقه وفضله إنما كان بكفرهم الذي اختاروه لأنفسهم وآثروه على الإيمان، فعاقبهم عليه بالطبع واللعنة، والمعنى لم نخلق قلوبهم غلفاً لا تعي ولا تفقه، ثم نأمرهم بالإيمان وهم لا يفهمونه ولا يفقهونه، بل اكتسبوا أعمالاً عاقبناهم عليها بالطبع على القلوب والختم عليها.

(فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ) أي: إنَّهم آمنوا بشيءٍ يسيرٍ مما وجب عليهم الإيمان به، لكنه إيمانٌ لا ينفعهم؛ لأنه مغمورٌ بما كفروا به. الدرر السنية

⇦فيُؤخذ من هذه الآية أن من جملة العقوبات التي يعاقب الله -تبارك وتعالى-بها بعض خلقه: سلب الهدى والعلم النافع، فيُطبع على القلوب، فيبقى العبد بمنأى، كما قال الله -تبارك وتعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) [سورة الأنفال:24] فلا يتمكن من الاهتداء والاستجابة والتوبة.خالد السبت

والنبي ﷺ أخبر أن الذنوب تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أشربها، نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها، نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة، ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادًا، كالكوز مجخيًا، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا، إلا ما أشرب من هواه (كالكوز مجخيًا إذا نُكس لا يستقر في داخله المائع) (أسود مربادًا: سواد يشوبه حمرة، وهو أقبح الألوان)، الألوان الجميلة: البياض المشرب بحمرة، أما السواد المشرب بحمرة فهذا من الألوان القبيحة السيئة. فالشاهد هنا: أن العبد يتوقى ويحذر، فيدرك تمامًا أن هذه الفتنة التي عرضت عليه من مشهد محرم يراه، أو مال محرم يأخذه، أو غير ذلك من أنواع تعاطي الحرام، فهي نكتة سوداء، فإذا كرر فتلك نكتة سوداء، فإذا كرر فتلك نكتة سوداء، وأين؟ في القلب الذي هو محل الاهتداء، فإذا أظلم القلب، واسود، فإنه بعد ذلك لا يصل إليه الهدى (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [سورة المطففين:14] من المعاصي والذنوب والآثام والآفات والجرائم، فتجتمع على القلب فيعلوه غلاف، فلا يصل إليه موعظة، ولا يتأثر بالقرآن، ولا من يوجه إليه من الخطاب، ولا يصل إلى قلبه، فيطرق سمعه ولكنه لا يحرك ساكنًا ولا يتأثر، فذلك لا ينفُذ إلى قلبه. ⇦ والمقصود بالفتنة كل ما خالف شرع الله -تبارك وتعالى-وأمره، فيدرك العبد تمامًا أن هذا الذي قد اعترض له ربما يستهويه أنها فتنة جديدة، وقد تعلق بقلبه، فيكون ذلك سوادًا، فإذا كثر عليه فبعد ذلك لا يلومن إلا نفسه، فيحذر الإنسان منذ البداية، ويدفع ويجدد التوبة؛ ليصقل القلب، ويكثر من الاستغفار دائمًا، ويتوب إليه في مجلسه عشرات المرات، ليبقى هذا القلب حيًّا، والنبي ﷺ كان يستغفر في اليوم والليلة، بل في المجلس الواحد سبعين مرة، ومائة مرة، وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فغيره من باب أولى. **خالد السبت**